بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الجزء الأول من كتاب: الأيديولوجية الصهيونية، لعبد الوهاب المسيري

تابع تيليقرام https://t.me/ReadStrategy

اسم الكتاب	الأيديولوجية الصهيونية (دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة) جـ1
المؤلف	المسيري رحمه الله
المترجم	-
دار النشر	سلسلة عالم المعرفة – الكويت
سنة النشر	ديسمبر 1982 (الإصدار 60 من السلسلة)

- الكتاب من قسمين، نُشر كل منهما على حدة في سلسلة عالم المعرفة الكويتية، في ديسمبر 1982 ويناير 1983، بالأرقام 60 و61.

مؤلف الكتاب هو الأستاذ عبد الوهاب المسيري، عالم اجتماع وفلسفة مصري، توفي في 2008، له دراسات واسعة في الصهيونية واليهودية، وأخرى في التحيّز، وله موسوعة شهيرة هي موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، وله دراسة موسّعة عن العلمانية تحت عنوان «العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية» في جُزأين.

القسم الأول من ثمانية فصول، والآخر من 4 فصول، وهي مترابطة ومتتالية.

هذا الملف تلخيصٌ للقسم الأول.

الفصل الأول، الثاني، الثالث:

- كما في عنوان الفصل الأول، «جذور المسألة اليهودية»، يتحدث المسيري عن الأسباب والعوامل التي أدَّت إلى ظهور المسألة اليهودية، وأثناء تعامله معها وسعيه لفهمها، يُؤكد المسيري على ملاحظة بحثية تحليلية مُهمّة جدًا تنصُّ على أن الباحث عليه أن ينظر إلى أي مسألة يدرسها ضمنَ سياقها، ضمنَ الصورة

الأكبر، فالإشكالات والأسئلة لا تسبحُ في الهواء الطلق لوحدها، وإنما تُخلق ضمن سياق زماني ومكاني واجتماعي واقتصادي وسياسي. (تذكرت هنا نصيحة ذكرها أستاذي عند التعاطي مع قضية ما يصعب عليَّ فهمها، نصحَ بأن ننظر إلى الصورة الأكبر التي يوجد في داخلها القضية التي لم نفهمها، وإذا لم نفهم نضع الصورة الكبيرة في داخل صورة أكبر، وهكذا، حتى نفهم)، في ظلّ هذه الملاحظة يُعمل المسيري عقله في تحليل وإظهار أسباب المسألة اليهودية.

أسباب المسألة اليهودية:

1- الدين اليهودي دين يحجب معتنقيه عن التفاعل السليم مع الآخرين، وفيه خصائص وتشريعات وهويّة غليظة جامدة منغلقة تجعل معتنقيه غير قادرين على الاندماج في أي مجتمع آخر، وتمنعهم من أن يتحوّلوا -فلسفيًا وعمليًا- ليواكبوا التحول الذي تمرّ به المجتمعات التي يعيشون فيها، كيف؟

A. كان اليهود يعيشون في مناطق مُغلقة لا يُشاركهم العيش فيها أحد غيرهم، مثل ما كان يُسمى «الجيتو»، وهو تجمع ضخمٌ يعيش فيه اليهود لوحدهم، يحكمهم في داخله الحاخامات، حيث يكونون هم القضاة، ويعيش المجتمع اليهودي في ظل نظام قضائي خاص بهم، فتكون أحكامهم وأعرافهم وقوانينهم على غير قوانين وأحكام المجتمع الذي يعيشون فيه، واليهودي الذي يعمل خارج الجيتو يعودُ له بعد انتهاء عمله ليُعاود الانخراط في المجتمع اليهودي.

B. الجيتو هو تعبير مادي وواقعي عن الفكرة اليهودية التي تدعو إلى الحفاظ على تماسك المجتمع وحصره في مكان واحد، وذلك للحفاظ على لغته وأعرافه وهويته، بل وحتى لباسه، (في بعض الدول، كان اليهود عند خروجهم من الجيتو يلبسون لباسًا يُميّزهم عن غيرهم من الناس)، لأنه شعبٌ مقدس ومختلف عن غيره من الشعوب، وعليه أن يظلَّ محتفظًا بكل خصائصه وعناصر هويته حتى عودة الماشيح. مَن الماشيح؟

C. الماشيح: الماشيح هو رجلٌ مثالي، من نسل داود عليه السلام، يخرج -عندما تقتضي الإرادة الإلهية- فيُعيد اليهود إلى أرضهم الموعودة، ويملأ الدنيا

بالعدل والسلام، ويُعيد حقوق اليهود المسلوبة لهم. تُشبه فكرة الماشيح تصوّرنا التقليدي عن المهدي كمسلمين، وقد سبّبت فكرة الماشيح الكثير من المشاكل لاحقًا مما استدعى تعديلها بما يناسب المشاريع الصهيونية والتنويرية.

D. يظهر أن اليهودي بسبب عزلته في الجيتو كان يشعر بأنه غريب عن الأرض التي يعيش فيها، وعدا عن شعوره بالغربة، فإنه كان دائمًا ما يشعر بالولاء لأرض مجهولة، هي الأرض التي سيُعيده إليها الماشيح، ولذا، فإن سعيه في الأرض التي يعيش فيها حاليًا هو سعيٌ لا طائل من ورائه في المستقبل، فهو في أيّ لحظة مُستدعى ليعود لأرض الماشيح الذي سيخرج فجأة لينتشله من الأرض التي لا ينتمي إليها.

2- هذا التصوّر عن الدين، وما أفرزه من مظاهر دينية على أرض الواقع، جعلَ من اليهود فئة منعزلة وكأنها تعيش على طرف المجتمع في بنية خاصة بها. هذا بلا شك ساعد المجتمعات المختلفة على رؤية الفرق والمسافة بينهم وبين اليهود، وساعد المجتمعات على أن ترى اليهود كوحدة مُنفصلة مفارقة لهم.

3- الموقف الاقتصادي: مما عزّز رؤية المجتمعات لليهود على أنهم وحدة مُنفصلة عنهم، أنّ الدين اليهودي كان يسمح بالمراباة مع الأغيار، (الأغيار هم مَن ليسوا يهودًا، وهذا المصطلح تعبيرٌ آخر عن انعزالية وانفصالية اليهودي عن غيره، إنه يرى العالم كقسمين، يهود وأغيار)، بينما ظلَّت المسيحية تحرمه لوقت طويل، مما خلق في أسواق دول مختلفة، مساحةً حرة وواسعة جدًا لليهود ليتحركوا فيها، ولم يُقصّر اليهود! إذ أتاحت لهم هذه المساحة أن يُطوّروا رؤوس أموالهم، وأن يكونوا العلاج المؤقت للأزمات المالية التي تضرب البلاد التي يعيشون فيها. فمثلًا، مع انطلاق الحملات الصليبية، احتاجت الممالك الأوروبية المُشاركة إلى السيولة المالية، وكان اليهود في ذلك الحين قادرين على تقديم المال السائل، ولكن بشروط ربوية، مما أكسبهم الكثير في وقت لاحق. أيضًا، من الأسباب التي جعلت الشعوب الأوروبية تنظر إلى اليهود بنظرة سلبية، ظاهرة ذكرها المسيري هي «يهود البلاط»؛ حيثُ كان

ملوك وأمراء الممالك يعتمدون عليهم في تسيير أمور الملك الماليّة، وأحيانا أمور المملكة ككل:

A. تشتت اليهود في مناطق جغرافية متباعدة ومختلفة، أكسب تجارهم لغات البلاد التي يعيشون فيها، ولأن الرابطة اليهودية بين اليهود هي أقدس الروابط (وسبب قداستها مجهول، تُفسّره النصوص اللاهوتية اليهودية بأنه أمرٌ من الله)، فقد كان اليهود على اتصال ببعضهم البعض، مما سمح لهم أن يُنشئوا شبكة تجارة عالمية، تصل بعضهم ببعض، وتُسهل عليهم أن يُنجزوا مهامهم التجارية في المناطق المختلفة وسمح لهم ذلك بنقل رؤوس الأموال سريعًا وبإنشاء علاقات واسعة جدًا.
B. بسبب ما سبق في النقطة أعلاه، كان اليهود هم الفئة الأنسب ليستفيد منهم الملوك في تدبير شؤونهم، ولأنهم رجالُ الملك، فلهم صلاحيات اقتصادية لا يملكها غيرهم من أبناء المجتمع (وهذا أثار حمق وغضب الشعوب عليهم)، وهذا سمح للملوك بأن يُعيدوا تشكيل الطبقات الاقتصادية في ممالكهم كما يريدون، وكان اليهود السيف الساخن الذي يُقلّم أظافر النبلاء والأمراء ويحدّ من نفوذهم لأن اليهود كانوا البديل الاقتصادي الأنفع والأجدى.
C. ما ذكرناه في الأعلى يُبرر وقوف اليهود مع الملوك في وجه الشعوب. ولكن للملوك موقفًا آخر، إذ كانوا يتبرأون من اليهود ويُوجهون الغضب الشعبي نحوهم عند حدوث الأزمات.
D. استغل اليهود كل ما استطاعوا استغلاله لأبعد حدّ ممكن، وهذا زاد من غضب الناس عليهم.
E. بالطبع لم يكن كلّ اليهود مُنشغلين بما ذكرناه في الأعلى وفقط، بل كان منهم الفلّاحون، والتجار على المستويين الصغير والكبير، ولهم حضور في معظم الأنشطة الاقتصادية. ولكن انعزالهم منعهم عن تحصيل المعارف المُعاصرة والمُتجددة، ولأنهم كانوا يعيشون على أطراف المجتمعات، باختيارهم وبإصرارهم، فإنهم لم يقدروا على مُواكبة التحولات العميقة التي حدثت للمجتمعات الإنسانية مُغيّرت بناها وأنماطها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

- من هُنا! وباجتماع كل هذه الإشكالات مع بعضها البعض، بدأت المسألة اليهودية بالبروز، ويُصر المسيري على أنها لم تكن مسألة وحيدة، بل هنالك مسائل لأقليات أخرى، ولكنها انتهت بطرق مُختلفة تبعًا لطبيعة استجابة الأقلية وأفرادها.
- (ما ذكرناه في الأعلى لا ينطبق حرفيًا على كل اليهود بالطبع، إنما هو تطبيق لفكرة «النموذج المثالي، Ideal type» عند ماكس ويبر الاجتماعي الألماني الكبير).
- إذا كانت هذه هي الأسباب الرئيسية، فإن المكوّن الذي أعطاها طعمًا هو رفض اليهود لعمليات الدمج التي حصلت لهم:

مع وصول العالم للثورة الصناعية مع تثبيت الرأسمالية لأرجلها في أوروبا الغربية تحديدًا، كانت فكرة الدولة القومية أكثر تبلوّرًا وحدةً في ملامحها، وعلى طريق تأسيس الدولة القوميّة، كان لا بد من إحداث إصلاحات وتغييرات مختلفة لم يستطع اليهود مواكبتها:

1- لكي تصبح مواطنًا حُرًّا من الدرجة الأولى في دولة قومية، يجب أن يكون ولاءك النهائي للقومية والدولة. وهذا ما لم يمتلكه اليهود ورفضوه.

2- بدأت برامج «توحيد السوق القومية» في عدّة دول، وذلك لتقويّة اقتصاداتها، وهذا يعني أن على كافة المواطنين أن يلتزموا بنظام ضرائب واحد، وبقوانين عامة تحكمهم جميعًا، وهذا ما لم يرق لليهود ولا لحكّام الجيتوهات.

3- لم يكن اليهود الأقلية الوحيدة في أوروبا، وفي محاولة الدول القومية المختلفة لتوحيد أبناء الدولة دُشنت برامج لدمج الأقليات بمجتمعاتها، فأتيحت فرص التعليم والعمل والتنقل والإقامة الحرَّة لليهود كما لم تُتح لهم من قبل، بل فرض عليهم أن ينتفعوا من هذه الفرص في بعض الأحيان، وظلَّ الجيتو ممانعا ورافضًا لأي محاولة دمج لأنها ستؤدي في النهاية إلى فقد الهوية اليهوديّة. ونشأ في داخل اليهودية تيار تنويري، (مُرافقًا للتيار التنويري الذي صعد نجمه في أوروبا ككل)، حاول إصلاح الأفكار اليهودية وإعادة بنائها بما يسمح للإنسان اليهودي أن يتحرّك، وقد عبّر بعض التنويريين عن استيائهم الشديد من القيود التي تفرضها اليهودية على اليهودي، وانخلع

بعضهم عنها تمامًا. طُرحت وجهات نظر جديد حول الماشيح وعودته، منها ما يقول أن عودة الماشيح تتمثل في تلك اللحظة التاريخية التي يصل بها العالم إلى السلام.

4- يذكر المسيري أن عملية التحديث وتقدّم الرأسمالية في غرب أوروبا كانت عملية تراكمية، تتمّ شيئًا فشيئًا ويتقدّم المجتمع معها كذلك شيئًا فشيئًا، أمّا في أوروبا الشرقية فإن العملية كانت تتم بشكل أسرع، لانفتاح المجتمع بشكل مفاجئ على أدوات الإنتاج والتصنيع.

الفصل الرابع «الصهيونية والاستعمار الغربي»:

- يتحدث المسيري في هذا الفصل عن علاقة الفكرة الصهيونية، أو التيار الصهيوني، بالاستعمار الغربي والإمبريالية العالمية، وقوام هذا الفصل هو إثبات أمور عدّة:

1- دول غرب أوروبا تقوم بتصدير مشاكلها التي لا تستطيع حلها إلى دول أخرى، والصهيونية فهمت ذلك الأمر واستغلته.

2- من أهمّ أسباب نجاح المشروع الصهيوني أنَّه قدم نفسه كحل وكمصلحة للأوروبيين:

A. في كثير من خطابات هرتزل كان يؤكد على ولاء الدولة الصهيونية المطلق للمملكة البريطانية (إن دُعم الصهاينة من بريطانيا). وكان من الشائع في فكر الصهاينة أن يروّجوا لفكرة أنّ إسرائيل ستكون جيبًا استعماريا مُعاونًا ومساندًا للاستعمار الغربي، مُؤكدين على أنَّ هذا الجيب سيوفر قاعدة دائمة للاستعمار في الشرق الأوسط، وسيكون هذا الجيب الاستعماري الإحلالي وسيطًا إن أراد المستعمِرون مع المُستعمَرين، أي أن الصهيونية وعدت بأن تكون خادمًا مطيعا للإمبريالية الغربية إن قدمت الدعم، وهذا ما يتضح في عبارة لأحد الصهاينة إذ

قال أنه لو وُجد مليون يهودي في فلسطين، فهذا يعني وجود مليون شخص مستعد لخدمة الاستعمار الغربي.

B. روّج صهاينة من غير اليهود لهذا الحل، لأنه سيُنهي المسألة اليهودية في أوروبا، ولأنه سيفتح الباب لبريطانيا لتُوجد مستعمرة ضخمة جديدة دونَ تكاليف باهظة، فالصهيونية ورجالها جاهزون لتحمّل تكاليف أي عمل استعماري بدلًا من بريطانيا. وكان ترويج الصهاينة ذكيًا لأبعد حد، ففي كتابات فلاديمير جابوتنسكي، القيادي في الحركة الصيهونية، يقول أن المشروع الصيهوني لن يكون كأيّ مستعمرة بريطانية تُعاني من مشكلة كونها مستعمرات مأهولة بشعوب لها انتماءات قومية غير بريطانية، والمشروع الصهيوني لن يكون كذلك لأنه سيفرّغ الأرض من أي عربي أو فلسطيني فيها.

C. هذه العروض السخيّة عُرضت على كل دولة استعمارية قد تدعم المشروع الصهيوني.

الفصل الخامس «الاستعمار الصهيوني»:

هذا الفصل من أهم فصول الكتاب، وعلى كل مؤمن بعدالة القضية الفلسطينية أن يقرأ ما فيه.

❖ يشرح المسيري سمات الاستعمار الصهيوني وخصائصه في هذا الفصل، بعد أن يعرض سريعًا لصفات الاستعمار بشكل عام، فيذكر أن هنالك استعمار اقتصادي، وآخر من خلال النفوذ السياسي، وآخر استعمار استيطاني يضع كتلة بشرية في الأرض المُستعمَرة، وآخر استعمار مدفوع بدوافع فرض آيديولوجية ما على المُستعمَرين الموصوفين بالتخلّف.

❖ يذكر المسيري سريعًا أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع يعيش أزمّة هوية، فهو مليء بالقوميات المختلفة، والذين هاجروا إليه، وإن كانوا يهودًا أو صهاينة، إلا أنهم جاءوا من خلفيات تاريخية وثقافية ولغويّة مختلفة، ولذا «يصر على البقاء في حالة حرب أو صراع ساخن لصرف الانتباه عن التناقضات التي تتفاعل داخله». ويذكر المسيري بشكل موجز أدوات يستخدمها الاستعمار كالضغط الاقتصادي

وكالوسائل العنيفة الأخرى، الرشوة والتهديد والإرهاب العسكري، ثمّ العنف المباشر. والصهيونية استخدمت كافة الوسائل التي أُتيحت لها، فقامت بشراء ما استطاعت شراءه من ملّاك الأراضي فور توفر ذلك لها، وقد أثبت الباحث أكرم الحجازي ذلك، إذ استطاع الصهاينة باهتمامهم بالقانون من اختراق القوانين العثمانية واستغلالها لشراء الأراضي الفلسطينية حتى قبل عام 1870م.

❖ السمات الخاصة بالاحتلال الإسرائيلي الصهيوني:

1- استعمار استيطاني (سكّاني): يقوم على وضع كتلة بشرية لتعيش بشكل دائم في الأراضي الجديدة المُستعمرة. وقد بدأ في فلسطين أواخرَ القرن التاسع عشر.

2- استعمار عميل: ويقصد بذلك ارتباطه الوثيق بالغرب، واعتماد شرعيته الدولية على الغرب بشكل كامل، أوروبا وأمريكا أكثر وأكثر. وهو مدعوم ماليًا وعلميًا وسياسيًا من هذه الدول منذ بداياته، ولذا يعيش اتفاقًا في سياساته مع سياسات الغرب (هذا الكلام كُتب في الـ82. يقول البعض أنّ من أهم الأمور التي قد تعين على زوال الاحتلال الإسرائيلي أن يُصبح وجوده غير ضروري أو أن يصبح مُكلفًا).

3- جيب استيطاني مُنفصل: مُنفصلٌ عن محيطه الإنساني والحضاري الذي يعيش فيه، ويختلف في نسيجه وتراثه وتاريخه وقيمه عن نسيج الشرق الأوسط وأممه.
ولكنه لا يستطيع الحفاظ التام على انفصاليته عن محيطه، لأن بعض أعضاء مجتمعه (القادمون من الشرق) يحملون مشتركات مع المنطقة، وهذه المشتركات تثير الخلاف في داخل المجتمع الصهيوني وتحديدًا مع اليهود القادمين من الغرب.

4- استعمار إحلالي: هذه إحدى أخطر صفات الاحتلال، إذ هو إحلالي، يقوم على إبادة أي إنسان غير صهيوني يعيش على الأرض ليعيش مكانه آخر صهيوني. يُزيل أهل الأرض ويأتي بأهل جدد.

5- استعمار مُستقلٌ نسبيًا: على الرغم من عمالته، إلا أنه مُستقلٌ نسبيًا عن الغرب.
(أقول أنا: وذلك لأنه استعمار يقوم على إحلال السكان وإلباسهم هوية وقوميّة جديدة، ولذا يفقد السكان الجدد اتصالهم وانفتاحهم الدائم على الأرض التي جاؤوا منها).

ويقول المسيري: الدول التي تُرسل مستوطنيها ليستوطنوا أراضٍ جديدة، تظلُّ مستعمراتها الجديدة خاضعةً للقرار السياسي في الأرض الأم، لأنها مرتبطة بالكيان الأم عضويًا، وإذا تعارضت مصلحة الجيب الاستيطاني مع الكيان الأم يُصفّى الجيب ويعود المستوطنون، على الجانب الآخر، فإن المستعمرات التي تقوم على إحلال المستوطنين، يحصلُ المستوطنون فيها على نوع من أنواع الاستقلال النسبي والحكم الذاتي.

6- استعمار توسعيّ: أي أنه يتوسع كلما وقعت الحاجة للتوسع، واحتياطًا قبل وقوع الحاجة. والمقولة الصهيونية التي ترى أن إسرائيل الكبرى «من النيل إلى الفرات» ليست وهمًا من العرب، وإنما وهم صهيوني موجود في النصوص الصهيونية وفي بعض الأسفار اليهودية. ولهرتزل مقولة مُفادها أن حدود الدولة ستتسع بمقدار زيادة السكان اليهود، «كلما زاد عدد المهاجرين، ستتسع رقعة الأرض».

الفصل السادس «بنية الأيديولوجية الصهيونية»:

❖ يتحدث المسيري في هذا الفصل عن **البنية المعرفية والنموذج الكامن** داخل الفكرة الصهيونية. ويذكر المسيري وجود عدّة مدارس، لا فرق بينها في الفكرة الأساسية لها، ويعتبر أن هذه المدارس إضافات على الفكرة الصهيونية الجوهرية، إذا أُزليت فإن الفكرة لا تتأثر. والفكرة الأساسية في الصهيونية هي إيجاد وطن قومي لليهود، أين، وكيف، ومتى، وما المقصود من «قومي»، كلها أسئلة إضافية على الفكرة الأساسية، وهذه الفكرة الأساسية يتفق عليها كافة الصهاينة على تنوّع واختلاف خلفياتهم، اليمنيون واليساريون والحاخامات.

❖ **هنالك مدارس وتيارات:**

1- المُراجعون: من الصهاينة تيار يسمى «المراجعون»، يُصر هؤلاء على مركزية الفكرة القومية، ويرون أنها الأساس الأقوى والسامي للصهيونية، وأنها يجب أن تظل المركز برغم أي إضافات أخرى «كالدين والاشتراكية» حسب تعبيرهم، والمراجعون يظهر عليهم تأثر واضح بفكرة الدولة القومية وبالفكرة القوميّة The nation state & nationalism، وهم يستوردون حل الدولة القومية كما استورده العرب سابقًا.

كان المراجعون أكثر التيارات واقعية، وقد بشّروا مبكرًا بالصدام العنيف مع الفلسطينيين مؤكدين أن فكرة إقناعهم بترك أرضهم هي فكرة محكومة بالفشل.

2- الصهيونية السياسية: وهي مدرسة أساسية في الفكر الصهيوني، تُعبّر عن جهود هرتزل ومن معه ممن حوّلوا المسألة اليهودية إلى مسألة صهيونية سياسية، وقاموا بجمع الجهود الصهيونية المُشتتة حول العالم ونظموها مُكونين علاقات مع اليهود العاديين ومع رجال الأعمال اليهود، أيّ أنهم حولوا الجهد الفردي لجهد جماعي رسمي. ترى الصهيونية السياسية المسألة اليهودية على أنها: مشكلة الفائض السكاني غير القادر على الاندماج، ويرى هرتزل تحديدًا أن سبب هذا معاداة السامية، ولحل هذه المشكلة لا بد من هجرة اليهود إلى وطن يُحققون فيه قوميتهم ويصيرون قومية ككل القوميات وشعبًا ككل الشعوب، ولتحقيق هذا لا بد أن يتم الأمر في إطار النظام الدولي، ولا بد من وجود سند كبير، كانَ في هذه الحالة هو الاستعمار الغربي المُنتفع من وجود الاستعمار الصهيوني.

الصهيونية السياسية لم تكن مشكلتها مع الدين، وإنما مع شتات اليهود وقوميتهم ووجود أرض تحتضنهم كشعب ويقيمون عليها دولة. (كثيرون منهم لم يكونوا على معرفة بالدين اليهودي، إلا في إطار ما يسمح لهم باستغلاله وتطويع أساطيره ومقولاته في خدمة مشروعهم السياسي الذي لم ينظروا إليه إلا من خلال منفعته للاستعمار الغربي).

3- الصهيونية العماليّة: تتفق مع الصهيونية السياسية في أنَّ المسألة اليهودية هي مشكلة الفائض السكاني غير القادر على الاندماج، وليست مشكلة الديانة اليهودية. «أي أنها مشكلة الوضع الاقتصادي والاجتماعي لبعض قطاعات اليهود» وسببها أنَّ

«التركيب الاجتماعي والحضاري لليهود يختلف عن التركيب الحضاري والاجتماعي للشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها».

4- الصهيونية الثقافية: ترى أن الدولة الصهيونية هي نتيجة لنشاط ثقافي وروحي يقوم على تقوية اتصال اليهود بتقاليدهم وتراثهم وبهويتهم وقوميتهم، وترى الصهيونية الثقافية أنّ أساس أي خطر يُهدد استمرار اليهودية هو فقدان اليهود إحساسهم بالوحدة والترابط والاتصال مع قيمهم.

ترى الصهيونية الثقافية أن الدولة الصهيونية يجب أن تكون مركزًا روحيا لليهود حول العالم ومركزًا ثقافيًا يُعزز هويتهم ويجعلهم فخورين بها.

- من العجيب كيف يفكّر الصهاينة على اختلاف مدارسهم، واليهود على مدى قرون طويلة، كيف يفكرون بالهوية على أنها شيء جامد لا يتطوّر ولا يتغيّر، أو أنها شيء صلب لا يتفاعل مع السياق الاجتماعي والنسق الحضاري الذي يوجد فيه. حتى الصخور تفعل!
- ❖ تقدم كلا الصهيونيتين: العماليّة والسياسية، اعتذارات وتبريرات ضعيفة للاستعمار الصهيوني، كلها في جوهرها عنصرية، ولكنها تختلف في المصطلحات والألفاظ، وفي زاوية النظر.

1- تبريرات الصهيونيّة العماليّة: تبرر الاستعمار الصهيوني بعبارات ناعمة مُقرفة، كقولها أنّ الصهيوني هو الإنسان العامل، الذي جاء ليحرث الأرض ويُصلحها ويغير حالها، أو أنّ الأرض هي لأول شخص يُريد أن يعمل فيها، وللمسيري هنا تعقيبٌ جميل، إذ يقول:«نقل المفاهيم من مستواها وسياقها إلى مستوى وسياق آخرين يسفر عن نتائج مختلفة»، ويتابع بضرب مثال: هذه المقولات الصهيونية العمالية مقولات جميلة ورائعة، ولكن عندما يقولها الفلاح الفلسطيني، لا الفلاح الصهيوني الذي إذا قالها على الأرض الفلسطيني فإنه يُعبّر بشكل مُباشر عن اغتصاب واحتلال للأرض والحق.

2- تبريرات الصهيونية السياسية: تبرر الاستعمار الصهيوني بعدّة أمور، منها تفوّق العرق الأبيض، ومنها التفوق الحضاري الغربي على الحضارات الأخرى، ولذا، لا

بد للرجل الأبيض أن يغزو البلاد الأخرى ليُعلّمها ويرفع أهلها من تخلفهم، ويفرض عليهم الحضارة التقدميّة، الحضارة الغربية. ولأن الصهيونية أيديولوجية إحلالية إقصائية في صميمها، قال أحد المنظّرين الصهاينة أنّه لا بد من فرض الحضارة الغربية على المُستعمَرين ولو احتاج الأمر إلى إبادتهم!!

- ❖سبب تبني بعض الصهاينة لفكرة تفوّق العرق الأبيض إلى مشكلة في التعاطي مع اليهود الشرقيين، الذين جاءوا من المغرب واليمن والعراق وغيرها من الدول غير الأوروبية.

3- تبريرات الصهيونية الثقافية والدينية: الأساطير التي تقول بتفوّق اليهود على الشعوب الأخرى، وقدراتهم العلمية والتكنولوجية الكبيرة، وحب الإله لهم وتمييزه لهم عن بقيّة البشر.

- ❖قد يتساءل أحدهم هنا: لماذا لم ينظر الغربيون إلى هذا التبرير على أنه تبرير عنصري؟ لأن اليهود كانوا يظهرون هذه الأيديولوجيات والتبريرات على أنها دعوة للحفاظ على حقوق اليهود كأقليّة دينية، لا دعوة لأخذ حقوق أناس آخرين، والدعوة الصهيونية في أمريكا لا تبدو مخيفة، لأنها دعوة لحفظ حقوق ووجود الأقلية اليهودية، بينما في فلسطين، أو في أي أرض مُستعمرة أخرى، فإن الخطاب الصهيوني يتحول لخطاب تبريري لأخذ الأرض وإقامة دولة غير شرعية عليها، هنا يتندّر المسيري ويقول أن النازية في حد ذاتها لم تكن لتشكّل خطرًا لو كان دُعاتها يروجون لها في اليابان، إذًا لبدت وكأنها ترويج للحفاظ على التراث والحقوق الألمانية!

❖ لم أقم بتلخيص الفصلين السابع والثامن جيدًا، وهذه شذرات تُلخص سريعًا كلا الفصلين:

1- من الواجب أن نُدرك أن الأيديولوجية الصهيونية غير قادرة على إظهار بناء متماسك أمام التحليل، فهي تستخدم الأضداد لتبرير مشروعها.

2- تتعامل الصهيونية مع غير الصهاينة بمستوى عالٍ جدًا من التجريد، فمثلًا، كل من ليس صهيوني هو من «الأغيار»، وعندما أقول أغيار، فإنني وإن قمت بإثبات وجود الآخر، إلا أنه موجودٌ على عكس حالتي، على غير ما أنا عليه، فوجوده ومعناه وخصوصيته كلها أشياء ومعانٍ مرتبطة بوجودي أنا ابتداء.

ببساطة، عندما أقول «الأغيار»، تنمحي عنك السمات التي تجعلك إنسانًا، فلا تصيرُ فلسطينيًا عربيًا مُسلما أو مسيحيًا، وإنما تصير شيئًا مجردًا لا وجود له، من «الأغيار»، من تلك الصفة التي لا يوجد في داخلها أيّ صفة تدلّ على وجودك!

3- الصهيونية تتصوّر اليهودي الخالص، ذو العرق وذو الفكر والدين المتشبع بالصهيونية واليهودية تمامًا، والمُنتمي إلى اليهود فحسب، وإلى الصهاينة ودولة الاحتلال فحسب، لا ينتمي لأي شيء آخر.

4- هذا اليهودي الخالص، يخترع له الصهاينة الأساطير، فهو بسبب أمر إلهي، أو سر إلهي، أسمى المخلوقات، والآخرون مسخّرون له، وله أن يقتل الآخرين إذا أراد.

واليهودي له خصوصية إلهية، والشعب اليهودي كله كذلك، ولذا إن غاب هذا الشعب فسد العالم.

5- في الخريطة الإدراكية للصهيوني، لا وجود للآخر في أرضه، فإذا وُجد، يختلُّ إدراكه، فهو يظنّ أن الأرض الفلسطينية مثلًا، هي «أرضٌ بلا شعب، لشعب بلا أرض»، ولأنه يجد بالفعل الإنسان الفلسطيني، يعيث فيه قتلًا وتدميرًا وتنكيلًا، ويُزيله ليحل آخر مكانه. إن العربي في في تصوّر الصهيونية هو عربيٌّ «غائب»، ومُقابله «اليهودي الخالص».

6- لمن قرأ روح الدين: من الملحوظ أن الصهيونية تمارس التغييب على كافة أفعالها وأفكارها، فهي تنسبها كلها للذات الإلهية الشريفة، وتُضفي صفات الذات على الإنسان الصهيوني، ففي النصوص الصهيونية كل يهودي له اتصال بالإله يجعله كالأنبياء، والشعب هو الشعب المُختار، ولذا لا بد من قيام دولة له.

7- يخلط الصهاينة بين الخاص والعام، وبين النسبي والمُطلق.

تمّ والحمدُ لله.